

من وصايا رسولنا محمد (ص)



1- احفظ الله، يحفظك:

هذه واحدة من وصايا رسول الله (ص) لعبد الله بن العباس (رض) كما جاءت في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد في مسنده.

وحفظ الإنسان المسلم ربه - عز وجل - هو إمتثال أوامره وإجتناّب نواهيه، ورعاية حقوقه والوقوف عند حدوده، والوفاء بعهوده، فلا يتعدى المسلم ما أمره الله به إلى ما نهاه عنه، أو لا يراه الله حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره.

احفظ الله يحفظك: إقامة دين الله وشريعته التي إرتضاها لعباده في كل أمر وحال وحين، قولاً وعملاً وعلماً، فإذا ما إمتثل المسلم ذلك طيعاً لا مخلصاً لا يبتغي إرضاء غير الله، تولى الله حفظه مما يضره في دينه ودنياه، جزاءً وفاً لما قدم من صالح الأعمال. ذلك لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وهذا هو القرآن ينادي المسلم ويدعوه إلى طاعة الله وطاعة رسول الله حتى ينال ثوابه، ويدخل في حفظه، فيقول - سبحانه - في سورة الأحزاب: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ وَفَّى) (الأحزاب/ 71).

وفي سورة الفتح: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذَّبْ بِهِ عَذَابًا أَلِيمًا) (الفتح/ 17). وفي سورة التوبة وصف المؤمنين بقوله: (وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) (التوبة/

(112). أي أنهم عرفوا معالم شريعة الإسلام فحفظوها وما ضيعوها.

وفي سورة النحل: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا) (النحل/ 91).

وفي سورة الإسراء: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) (الإسراء/ 34).

وفي سورة النساء: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُسْلِمِينَ زُورَ مَا تَوَلَّى وَزُورَ اللَّهِ جَهَنَّمَ وََسَاءَتْ مَصِيرًا) (النساء/ 115).

ومن أعظم ما تجب المحافظة عليه في المأمورات الصلوات الخمس في أوقاتها، ذلك قول الله سبحانه في سورة البقرة: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) (البقرة/ 238). أي خاشعين مطيعين لا تلهكم تجارة ولا بيع ولا لهو ولا لغو، ولا يشغلكم شاغل عنها متى حان وقتها، إذ أداؤها في أوقاتها من صدق الإيمان وحسن الإسلام على ما يشير إليه قول الله - سبحانه - في صفات المؤمنين في سورة المؤمنون (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) (المؤمنون/ 8). وكما جاء في الأثر في الحفاظ عليها: "من حافظ عليهن كن له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة..".

ولما كان مفتاح الصلاة الطهارة وجبت المحافظة عليها إمتثالاً لقول الله - سبحانه - في سورة البقرة: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (البقرة/ 222)، وهكذا يكون حفظ أوامر الله بأدائها على الوجه الذي فرضه الله وارتضاه مع سائر أسس الإسلام.

وحفظ المؤمن حرمة الله صونه نفسه عن الوقوع فيها وذلك من فروض الإسلام، فليحفظ المسلم لسانه عن الخوض فيما حرم الله من الكذب والغيبة والنميمة، وقول الزور والباطل وفحش القول، وإشاعة الفاحشة ونشرها، وليحفظ بصره وفرجه من الآثام والمعاصي. ذلك قول الله في سورة النور (قُلْ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ) (النور/ 30)، وقوله في سورة الأحزاب ثناء على من أعد لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا (وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ) (الأحزاب/ 35).

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري: "من يضمن لي ما بين لحييه ورجليه أضمن له الجنة". وحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى من واجبات المسلم؛ إذ عليه أن يحفظ عقله وفؤاده من

الأباطيل والضلالة ويحفظ بطنه مما حرمه الله من الأطعمة والمشروبات المحرمة وسائل المنكرات، ذلك قول الله في سورة الإسراء (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عِنْدَهُ مُسْمُوعًا) (الإسراء / 36).

والأيمان مما يجب حفظها والوفاء بمقتضاها المشروع، ذلك قول الله - سبحانه - في سورة المائدة (.. وَاعْبُدُوا أَيْمَانَكُمْ) (المائدة / 89).

شواهد في كتاب الله سبحانه، فإذا حفظ المسلم حقوق الله وحافظ عليها، حفظه الله في مصالح دينه ودنياه نعمة من الله وفضلاً وجزاءً من جنس العمل. وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.. ذلك قول الله - سبحانه - في سورة البقرة: (فَإِذَا كُفِرْتُمُوهُ فَوَيْلٌ لَّكُم مِّنَ الْبَقَرَةِ) (البقرة / 152)، وفي سورة محمد: (إِنَّ تَذَمُّرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ) (محمد / 7). وفي سورة البقرة: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) (البقرة / 40)، وقول الله - تعالى - في سورة الطلاق: (فَإِذَا بَلَغَ الْغُنَّ أَجَلُهُنَّ فَأَمَسْكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِّنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ...) (الطلاق / 2-3)، بل ويمتد الحفظ من الله للعبد الذي حافظ على أداء أوامره واجتناب نواهيه إلى حفظ أولاده وذريته كما جاء في قول الله في سورة الكهف (وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) (الكهف / 82).

فهل لنا أن نحفظ هذه الوصية من رسول الله (ص) ونحافظ على العمل بها والقيام بحقوقها فنحفظ دين الله؛ الإسلام بحمايته من العقائد الداخلية الزائفة والبدع المضلة والشهوات المحرمة والأفكار التي تزيغ بها الأئمة.

نعم أيها المسلم وأيتها المسلمة "احفظ الله يحفظك".

هذه هي الوصية الثانية من وصايا رسول الله (ص) لعبد الله بن العباس التي وردت في مسند الإمام أحمد: "احفظ الله تجده تجاهك"، وفي رواية "أما مك". والمراد - والله أعلم - أنك أيها المسلم وأيتها المسلمة إذا اتقيت الله - سبحانه - فامتثلت أوامره واجتنبت ما نهى عنه وراعت حدود وحقوقه، ووصايا وعهوده، في شرك وعلتك، وفي عبادتك لربك، ومعاملتك مع غيرك وجدت الله معك في جميع أحوالك، يحوطك ويرعاك وينصرك ويحفظك، ويؤيدك ويوفقك، ويسدد خطاك نحو الخير الذي ترتجيه، فإن الله سبحانه - قائم على كل نفس بما كسبت.

ذلك ما يشير إليه قول الله - سبحانه - في سورة النحل: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) (النحل / 128).

وهذه المعية للمسلم خاصة لا ينالها إلا المتقون من عباد الله، وهي تفيض بالرضا والرعاية والحفظ والمعونة والتأييد واللفظ والرحمة والإكرام والنصر منه سبحانه - ألا تراه قد قال لموسى وهارون (ع) كما جاء في سورة طه: (لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَ كُمَا أَصْمَعُ وَأَرَى) (طه / 46)، وقال في سورة التوبة في شأن رسول الله محمد (ص) وصاحبه الصديق: (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنِّي لَآتِيَكُمَا مَعَنَا) (التوبة / 40)، وكان رسول الله (ص) قد قال لصاحبه في الغار يطمئن قلبه إلى أن الله حافظ مسيرتها إلى المدينة: "ما ظنك باثنين الله ثالثهما" ..

تلك معينة الحفظ والصون والحماية والعون، أما المعية التي أشار إليها قول الله - سبحانه - في سورة الحديد: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) (الحديد / 4)، وفي سورة المجادلة: (مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا...) (المجادلة / 7)، هذه المعية معية علم وإحاطة بأحوال المخلوقات ومنها الناس أفراداً وجماعات يستوي فيها المتقون وغير المتقين.

ومقتضى هذه الوصية: "احفظ الله تجده تجاهك" أن على المسلم أن يوقن أن الله جلت قدرته مع عبده يهديه ويؤيده بفضله ويعلمه من لدنه علماً ينفعه، ويسبغ عليه من نعمه ما يشاء متى حفظ الله في أوامره وحرماته التي منها حقوق الخلق والناس أجمعين برهم وفاجرهم. في هذه الوصية "احفظ الله تجده تجاهك" دعوة إلى مراقبة الله في كل الأعمال والأحوال والأقوال، وطلب مرضاته، وإجتنب ما يبغضه ولا يرضاه من سيئ الأفعال والأقوال والأحوال.

هذه الوصية تذكرنا بقول رسول الله (ص) جواباً على سؤال جبريل عن الإحسان: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". توجيه رشيد إلى طريق العبادة الصحيحة المؤدية إلى مرضاة الله ودعوة إلى إستحضار القلب في الصلاة وفي كل عبادة شرعها الله فلا يشرد العقل، ولا يغفل القلب وقت ذكر الله وتلاوة القرآن وحين الصلاة، وفي المعاملة مع الناس، ينبغي أن يذكر المسلم والمسلمة أن الله سبحانه (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) (غافر / 19)، وأنه (فَلَا يَأْتِيَنَّكَ مَكْرٌ مِنَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوَمُ الَّذِينَ خَسِرُوا) (الأعراف / 99). وأنه ينبغي أن يوقن المسلم أن الله مطلع على سره ونجواه، وأن الأعمال بالنيات، وأن لكل امرئ ما نوى، وأن معية الله لا تنال إلا بالتقوى والعمل الصالح، ومن يكن الله معه كان مع الفئة التي لا تغلب، ومع الحارس الذي لا ينام والهادي الذي لا يضل.

خالصة □ في حال الرخاء، من برّ بالوالدين وترك للفجور، وأداء الأمانة الخفية.

نعم؛ تعرف إلى □ في الرخاء يعرفك في الشدة؛ وصية نبوية يشهد لها ما جاء في الحديث القدسي الذي رواه:

"ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه..." إلى أن قال: "... ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه...".

وهذا التعرف إلى □ على هذا النحو الذي أوصى به رسول □ (ص) غير المعرفة العامة التي أشار إليها قول □ - سبحانه - في سورة ق: (وَلَقَدْ دَخَلْنَا الْقُرْآنَ الْإِنْسَانَ - وَزَعَّمْ مَّا تُوَسَّوْسُ بِهِ - زَعْفُسُهُ - وَزَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) (ق/ 16)، وقوله - تعالى - في سورة النجم: (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ - إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ - وَإِذْ أَنْزَلَكُمْ أَجْنَدَةً - فِي بُطُونِ أُمّهَاتِكُمْ) (النجم/ 32). إذ هنا العلم والإحاطة بالأشياء كلها □ بكل شيء محيط، وبكل شيء عليم وكما قال - سبحانه - في سورة الشورى: (إِنَّهُ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ) (الشورى/ 27).

أما تلك المعرفة الخاصة من العبد المسلم إلى ربه، فإنها تستتبع الطمأنينة إلى رحمة □ ولطفه وغوثه ورعايته، وثقته في النجاة من الشدة والكرب وفي إستجابة دعائه، فيقع له الأنس ب□ والمزيد من التعرف إلى □.

وإذا كانت أعظم شدة يلقاها الإنسان في هذه الحياة هي الموت كان الواجب الإستعداد لإستقباله بالمبادرة إلى الأعمال الصالحة طول الحياة حتى يحين الأجل وهو على الإسلام والإيمان، فتدركه رحمة الرحمن، ويهون عليه أمر الموت، ويثبت □ بالقول الثابت في الدنيا وفي الآخرة.

ويشهد لهذه الوصية قول □ - سبحانه - في سورة الطلاق: (وَمَنْ يَتَذَقَّرْ - اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) (الطلاق/ 2)، أي من كربات الدنيا والآخرة.

والتقوى تعرف إلى □ وتقرب إليه بالطاعات وبالإخلاص في الأعمال، أما من لم يتعرف إلى □ في الرخاء والميسرة، لم يكن له حظ في معرفة □ في شدائده بالرحمات واللطف. فتعرف أيها المسلم وأيتها المسلمة إلى □ في الرخاء واليسر يعرفك □ بفضلته ورحمته ولطفه في الشدة والعسر □ معكم ولن يترككم أعمالكم متى أحسنتم وأخلصتم.

4- إذا سألت، فاسأل □:

هذه رابعة الوصايا التي وجهها رسول □ (ص) إلى عبد □ بن العباس (رض) في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده وفيها يأمر النبي (ص) بإفراد □ - تعالى - بالسؤال؛ لأنَّه الغني القادر، وحتى لا يذل المؤمن بسؤال غير □ القوي المعطي الوهاب (تَبَارَكَ الَّذِي

بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (الملك/ 1)، ولأنَّ في السؤال ذاته إظهار الحاجة إلى المسؤول الاعتراف باقتداره على العطاء وذلك لا ينبغي التوجه به إلى غير الله - سبحانه - الذي يفتقر إليه جميع المخلوقين في كافة شؤونهم على ما يشير إليه قول الله - سبحانه - في سورة فاطر (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَرْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْخَمِيدُ) (فاطر/ 15). وفي سورة النساء: (وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ) (النساء/ 32).

وهو (اللَّهُ الْمَنَّانُ) (الإخلاص/ 2)، أي الذي يُقصد وحده في الحوائج. ولهذه الوصية النبوية شواهد كثيرة من القرآن والسنة، فإذا شكوت - أيها المسلم وأيتها المسلمة - من أمر أصابك فلا تشكُّ إلا إلى الله، وإذا دعوت فلا تدع إلا الله؛ فإنَّه الذي يجب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء.

ذلك قول الله في سورة غافر: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (غافر/ 60)، وقوله في السورة نفسها: (هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) (غافر/ 65)، وفي سورة الأعراف: (وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) (الأعراف/ 56).

ولنا الأسوة الحسنة بدعاء الأنبياء والمرسلين الذي ورد في القرآن: فقد كان دعاء إبراهيم كما في سورة إبراهيم: (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) (إبراهيم/ 40-41)، ودعاء موسى في قوله - تعالى - في سورة القصص: (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) (القصص/ 24)، ودعاء أيوب، ودعاء ذي النون ودعاء زكريا وغيرهم حيث كان دعاؤهم وسؤالهم الله تعالى. ولنتدبر قول الرسول الكريم (ص) توجيهاً وتعليماً لأمته كما رواه البخاري عن أبي هريرة (رض) "تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء". وروى مسلم وأبو داود عن أبي هريرة (رض) قول رسول الله (ص) "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ فأكثروا الدعاء".

فاسألوا الله - أيها المسلمون - وألحوا بالدعاء.

وخامسة الوصايا في هذا الحديث الشريف: "وإذا استعنت فاستعن بالله".

أي إذا طلبت المعونة على أي أمر من أمور الحياة للدين أو للدنيا فتوجه بطلبك إلى الله سبحانه؛ فإنَّ الأمور كلها بيده، ولا تطلبها من غيره، اطلب من الله - سبحانه - وحده العون والتوفيق والتيسير بإخلاص وقوة يقين فهو وحده المستعان به، وقد علَّمنا أن ندعوه ونستعين به ونعبده وحده حين فرض علينا أن نتلو في كل صلواتنا سورة الفاتحة ومن آياتها

قول الله تعالى: (إِذْ يَسْأَلُكَ رَبُّكَ عَنْ نِعْمَةِ الْيَوْمِ وَالْأَيَّامِ) (الفتح / 5)، أي أننا نخصك بالعبادة فلا نعبد سواك، ونخصك بطلب العون منك، فلا نستعين بغيرك. ومن الأدب مع الله شكر نعمته حين يتفضل بالاستجابة لاستعانتك به، وإذا لم لم يعنك فلم تنل ما تمنيت، فاعلم أن الخير لك فيما قضى الله به وقدره؛ فقابل صنع الله واختياره لك بالرضا والتسليم وارضَ بقضاء الله - تعالى - وقدره، خيره وشره، ومره وحلوه؛ فإن ذلك شطر من الإيمان.

هذا، ولا تعني هاتان الوصيتان الشريفتان: "إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله"، أن الله لا يحل للمسلم طلب العون في حمل شيء ثقيل مثلاً يعجز عن حمله أو العون في سفر أو تعلم؛ لأن كل تلك تعاملات مباحة، وإنما توجه هاتان الوصيتان إلى أن العطاء والحرمان، والعون وعدمه بيد الله وحده، والسؤال والدعاء يجب أن يوجهها بادئ ذي بدء إلى الله - سبحانه - فهو الذي يعين ويستعان به، وهو الذي يعطي دون حدود، وهو الذي يؤلف القلوب، ويحركها إلى فعل الخير ويدفعها إلى الإحسان في كل شيء وهذا لا يمنع من الأخذ في الأسباب المشروعة مع الاعتماد على خالق الأسباب فهو خالق الأسباب والمسببات.. (لَوْ أَن زُفِّقَتِ مَآ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَقَتْ بَيِّنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيِّنَ نَّهْمٌ...) (الأنفال / 64). ►

المصدر: كتاب منهج الإسلام في التربية والإصلاح